﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ [القيامة: 1 - 6]

❁ مُناسَبَةُ مطلعِ السّورةِ لما قبلها:

الانتقالُ من الإجمالِ إلى التّفصيلِ ومن الوظيفةِ إلى بيانِها

لَمّا ذَكَرَ ﷺ الآخرةَ أوَّلَ سورة المدَّثِّرِ وخوَّفَ منها بالتّعبيرِ بالنّاقورِ، وذلك في قولِه: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ [المُدَّثِّر: 8 - 9]، ثم أعادَ أمرها آخرَها في قولِه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ۝٥٦﴾ [المُدَّثِّر: 54 - 56]، ناسب أن تبدأ السّورة التّالية بذِكْر يوم القيامةِ، فأشار اللّه تعالى في أوَّلِ هذه السورةِ إلى تعظيم القيامةِ والتّهويل في أمرها بذكرِها وإثباتِ أمرها بعدم الإقسام - في وجه النفي -، لأنَّ الأمرَ غنيٌّ عن ذلك، أو بتأكيدِه - في وجه التأكيد؛ لأنّ الإثبات من طريق النّفي آكَدُ، كأنه ردَّ على المنكر أوَّلًا ثم أثبتَ القَسَم ثانيًا، وهذا تنبيهٌ للإنسانِ على قدرةِ اللّه تعالى على البَعث.

وإنَّ وظيفة المُدَّثِّر ﷺ قائمةٌ على تذكيرِ النّاس بالإيمانِ بالبعث، وأنَّه قادمٌ لا محالةَ، فكانت سورة القيامة كالمُبيِّنة لهذه الوظيفة العظيمة، فوجْهُ التناسب في كون القيامة امتدادًا دلاليًّا لما حوته سورة المُدَّثِّر.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾: (لوم) أصلٌ يدلُّ على العَتْبِ والعَذْلِ، تقولُ: لُمْتُه لَوْمًا، والرَّجلُ مَلومٌ. والمَليمُ: الذي يستحقُّ اللَّومَ. واللّوماءُ: الملامةُ، ورجل لوَمَةٌ: يَلومُ النّاسَ[1]، والتَّلاوُمُ: أن يلومَ بعضُهم بعضًا، والمُرادُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (لوم)، وابن منظور، لسان العرب: (لوم).

بـ﴿بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ على بناءِ المبالغةِ: النّفسُ التي اكتسبتْ بعضَ الفَضيلةِ، فتلومُ صاحبَها إذا ارتكبَ مكروهًا، فهي دون النّفس المُطمئنة، وقيل: بل هي النّفس التي قد اطمأنّت في ذاتها، وترشَّحت لتأديب غيرها، فهي فوقَ النَّفسِ المُطمئنَّةِ[1].

2) ﴿نُّسَوِّيَ﴾: (سوي) أصلٌ يدلُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بين شيئَيْن، يُقال: هذا لا يُساوي كذا؛ أيْ: لا يُعادِلُه. وفلانٌ وفلانٌ على سويَّةٍ من هذا الأمر؛ أيْ: سواءٍ[2]. وسَوَّيتُ الشَّيءَ فاستَوى؛ أيْ: قَوَّمتهُ فاستَقامَ واعتدلَ[3]. والسَّويُّ يُقالُ فيما يُصانُ عن الإفراطِ والتَّفريطِ من حيث القَدْرُ والكيفيَّةُ، ورَجُلٌ سَويٌّ: استوت أخلاقُه وخِلقَتُه عن الإفراطِ والتّفريطِ[4]. والمُرادُ في قولِه: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ القدرةُ على ضَمِّ سُلاماتِه على صِغَرِها ولطافتها بعضها إلى بعضٍ كما كانت من غيرِ نقصانٍ ولا تفاوت[5]؛ أيْ: إعادة خلقِ البَنانِ مُقَوَّمةً مُتْقَنَةً، بأدقِّ ممّا كانت عليه[6]، وقيل: المُرادُ بالتسويةِ أنْ نجعلَ كفَّه كخُفِّ الجملِ لا أصابع لها، وقيل: أن نجعل أصابعَه كلَّها على قدرٍ واحدٍ حتى لا ينتفع بها، وهو معنى يُضعِّفه السّياق[7].

3) ﴿بَنَانَهُۥ﴾: (بنَّ) في المضاعفِ أصلٌ واحدٌ، هو اللُّزومُ والإقامةُ، والإبنانُ: اللزومُ، يُقال: أبَنَّتِ السَّحابةُ: إذا لَزِمَتْ، وأبَنَّ القومُ بمحلَّةٍ: أقاموا، واشتقاقُ البَنانِ من قولهم: أبَنَّ بالمكانِ: إذا أقامَ؛ فالبَنانُ به يعتمدُ كلُّ ما يكون للإقامةِ والحياةِ[8]؛ لأنّ بها صلاحَ الأحوالِ التي يُمكن للإنسانِ أن يَبِنَّ بها؛ أيْ: يُقيم[9]. والمعنى المحوريُّ امتدادُ الشَّيءِ اللَّطيفِ من أصلِه أو فيهِ، والبنانُ اسمُ جنسٍ جمعيٍّ، يُرادُ بهِ أطرافُ الأصابعِ في اليدَيْن، وواحدُ البَنانِ: بنانةٌ[10].

---

(1) الرّاغب، المُفردات: (لوم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سوي).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (سوا).
(4) الرّاغب، المُفردات: (سوا).
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 722.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 341، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سوى).
(7) الرّاغب، المُفردات: (سوا)، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 94.
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بنن).
(9) الرّاغب، المُفردات: (بنن).
(10) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بنن - بنبن).

4) ﴿لِيَفۡجُرَ﴾: (فجر) أصلٌ واحدٌ، وهو التَّفتُّحُ في الشَّيءِ، من ذلك: الفَجْرَ: انفجارُ الظُّلمةِ عن الصُّبحِ. ومنه: انفجرَ الماءُ انفجارًا: تَفَتَّحَ. ثم كثُرَ هذا حتى صارَ الانبعاثُ والتَّفَتُّحُ في المعاصي فُجورًا؛ ولذلك سُمّيَ الكذبُ فُجورًا، ثم كَثُرَ هذا حتَّى سُمّي كلُّ مائلٍ عن الحقِّ فاجرًا، وكلُّ مائلٍ عندهم فاجرٌ[1]. وفَجَرَ الرجلُ القناةَ فجْرًا: شَقَّها، وفَجَرَ العبدُ فُجورًا: فسَقَ وزَنَى، وفَجَرَ الحالفُ فُجورًا: كَذَبَ[2]. والمعنى المحوريُّ: انبثاقُ المائعِ المُحتبِسِ باندفاعٍ وغزارةٍ فاتحًا فُرْجَة في محبسِهِ، ومنه: فجَرَ الرَّجل فُجورًا: انبعث في المعاصي؛ أيْ: شقّ الحدودَ واعتداها[3]، وقولُه: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾؛ أيْ: يريدُ الحياةَ ليتعاطَى الفُجورَ فيها[4]. وقيل: معناه: ليذنبَ فيها. وقيل: معناه: يذنبُ ويقولُ: غدًا أتوبُ، ثمَّ لا يفعلُ؛ فيكون ذلكَ فُجورًا لبذلِه عهدًا لا يَفي بهِ[5].

5) ﴿أَيَّانَ﴾: (أين) أصلٌ يدلُّ على قُربِ الشَّيءِ. قالوا: آنَ لكَ يئِينُ أينًا[6]. و(الآنَ) اسمٌ للوقتِ الذي أنتَ فيه[7]. والمعنى المحوريُّ: لزومُ الأرضِ أو بُطءُ مفارقتِها، كحال المُعْيى والمُتْعَبِ وحالِ الحيَّةِ ونحوها في الزَّحفِ. ومنه: (أين) الظّرفيَّةُ، إذِ الظّرفُ مكانٌ هو الأرضُ أصالةً، يستقرُّ فيه الشّيءُ المظروفُ. ومن الظّرفيَّةِ المكانيَّةِ تنقلُ إلى الظّرفيَّةِ الزّمانيَّةِ: آن يئِينُ: حان. و(أيّان): يُسْأل بها عن زمانٍ، كقوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ﴾ [الأعراف: 187]؛ أيْ: متى تُرسَى، أيْ: تحُلّ وتقعُ[8]، وهي تقاربُ معنى (متى)، قال تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ﴾ [الأعراف: 187]، و﴿أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢﴾ [الذّاريات: 12]، وقيل: هي من قولِهم: أيٌّ، وقيل: أصلُه: أيُّ أوانٍ، أيْ: أيُّ وقتٍ، فحذفتِ الألفُ، ثم جعلتِ الواوُ ياءً، فأُدغِم فصار (أيّانَ)[9].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فجر).
(2) الفيوميّ، المصباح المنير: (فجر).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فجر).
(4) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (فجر).
(5) الرّاغب، المُفردات: (فجر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أين).
(7) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (أين).
(8) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أين).
(9) الرّاغب، المُفردات: (أيان).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيـانُ حتميَّةِ القيامةِ والبعثِ وكشفُ دخائلِ نفوسِ المُكذِّبينَ والمُنكِرينَ

بدأتِ السّورةُ بنفي القَسَمِ بهذا اليومِ المشهودِ؛ لأنَّ المُرادَ بها هو التّلويحُ بالقَسَمِ دون إمضائِه، إذا كان الأَمرُ المُقسَمُ عليه أوضحَ من أن يدلَّ عليهِ، وأنْ يؤكَّدَ في الدّلالةِ عليه بقَسَمٍ، ثمَّ عطفَتْ بنفي القَسَمِ بالنَّفسِ اللَّوّامةِ، فلوَّحَتْ بالقَسَمِ بالنَّفسِ التي ترجعُ على صاحبِها باللّائمةِ لما يقعُ منه من إثمٍ، وما يقترفُ من ذنبٍ، وقد قُرِنَتِ النَّفسُ اللَّوّامةُ بيومِ القيامةِ؛ لأَنَّ ثمرةَ هذا اللَّومِ إنَّما تظهرُ آثارُه يومَ القيامةِ، ولولا الإيمانُ بيومِ القيامةِ لما راجعَ المرءُ نفسَه فيما أحدثَ من آثامٍ. ثمَّ عرضَتِ السّورةُ لسببِ استنكارِ الجاحدينَ المُكذِّبينَ ليومِ القيامةِ وتشكيكهم في حتميَّتِه، وهو استبعادُ قدرةِ اللهِ على أن يُقيمَ من هذا الرَّميمِ بَشَرًا سويًّا. فبيَّنتْ أن جمعَ هذه العظامِ التي أكلَها التُّرابُ، وأبلاها البِلى أمرٌ هيِّنٌ أمامَ قدرةِ اللهِ تعالى، وأنَّ قدرتَه - تباركتْ آلاؤه - تمتدُّ إلى ما هو أعوصُ منه وأعقدُ في ظنِّ المُنكرينَ، وهو تسويةُ عظامِ البنانِ التي هي أدقُّ هذه العِظامِ، وأصغرها. ثمّ أضربتِ الآياتُ عن الاسترسالِ في إقامةِ الحُججِ والبراهينَ على قدرةِ اللهِ على البعثِ إلى بيانِ الدّافعِ النَّفسيِّ لذلك المُنكِرِ المُكذِّبِ، فهو يسألُ سؤالَ المُنكِرِ المُستهزئِ: متى يكونُ يومُ القيامةِ هذا الذي جاءَ به الوعيدُ؟ وهو سؤالُ اتِّهامٍ لهذا اليومِ، وتكذيبٍ لِمَن يتحدَّثُ عنه أو يُخَوِّفُ منه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ بَراعةِ الاستهلالِ:

نفيُ القَسَمِ تنبيهٌ وإيقاظٌ لمعاني مُفتَتَحِ السّورةِ

استَهَلَّ القرآنُ المجيدُ السّورةَ بالقَسَمِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ إيذانًا بأنَّ ما سَيُذكرُ بَعدَه أمرٌ مُهمٌ لِتَستشرفَ لَهُ نفسُ السّامعِ. وكونُ القَسَمِ بيومِ القيامةِ براعةَ استهلالٍ؛ لأنَّ

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 15/ 1311 - 1316.

غرضَ السورةِ وصْفُ يومِ القيامةِ. وفيه أيضًا كونُ المُقسَمِ بهِ هو المُقسَمُ على أحوالِه تنبيهًا على زيادةِ مكانتِه عند المُقسِمِ[1].

براعةُ استعمالِ ﴿لَآ﴾ قبل فعلِ ﴿أُقۡسِمُ﴾:

نـفـيُ الـحـاجـةِ للقَسَمِ أبلغُ في إثـبـاتِ المعنى وأوكـدُ في تقريرِ حقيقتِهِ

تعدَّدتْ أقوالُ المُفسِّرينَ في معنى ﴿لَآ﴾ في قولِه: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾، فقيل: إنَّها نافيةٌ لكلامٍ مُتقدِّمٍ مُقدَّرٍ، وقيل: إنَّها مزيدةٌ، وقيل: إنَّها حرفُ استفتاحٍ بمنزلة (ألا)، وقيل: إنَّها استفهاميَّةٌ على سبيل الإنكار والتقدير: (ألا أقسم بيوم القيامة)، وقيل: إنَّها نافيةٌ مؤكِّدَةٌ للقَسَمِ؛ أيْ: إنَّه لا يُقسمُ بالشّيءِ إلّا إعظامًا له، فبإدخالِ حرفِ النَّفي يقول: إنَّ إعظامي له بإقسامي به كلا إعظامٍ، يعني أنّه يَسْتَأْهِلُ فوق ذلك[2].

وهذا هو أصحُّ الأقوال وأقربُها إلى دِقَّة نَظْمِ القرآن، وطريقة العرب في البيان، والتّأكيدُ عن طريقِ النَّفي ليسَ بغريبٍ. فأنت تقولُ لصاحبِكَ: (لا أوصيكَ بفلانٍ)، تأكيدًا للوَصيَّةِ ومبالغةً في الاهتمامِ بها؛ فتبلغُ بالنَّفي، ما لا تبلغُه بالطَّلبِ المباشرِ الصَّريحِ، فهي لِنفي الحاجة إلى القَسَمِ، لا لنفي القَسَمِ نفسِه، والسرُّ البيانيُّ لهذا الأسلوبِ يعتمدُ على قوّةِ اللَّفتِ على ما يبدو بين النّفي والقَسَمِ من مفارقةٍ مثيرةٍ لأقصى الانتباه[3].

تَوْجيهُ القِراءاتِ القُرآنيَّةِ في ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾:

الـــلّامُ إمّـا جـوابٌ لـقَسَمٍ مُقدَّرٍ، أو فعلٌ مستقبلٌ على حذفِ النّونِ، أو للابتداءِ

وردَ في كلمة ﴿لَآ﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قراءتانِ متواترتانِ، فقَرَأ قُنبل والبزي بخلف عنه (لَأُقْسِمُ) بغَيْر

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 337.

(2) القيسيّ، الهداية إلى بلوغ النهاية: 12/ 7857، وابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 5/ 401، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 719، والسّمين، الدُّرُّ المصون: 10/ 561 - 563، والخطيب وآخرون، التّفصيل: 29/ 355 - 356.

(3) بنت الشاطئ، الإعجاز البيانيّ للقرآن، ص: 285، والتفسير البيانيّ للقرآن: 1/ 165 - 166، والسّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 174 - 175، ولمسات بيانيّة، ص: 203 - 204، نقلاً عن كاظم فتحي الراوي، أساليب القسم في اللغة العربية، ص: 150، 151، وعزاه إلى بنت الشاطئ.

ألف بعد اللّام، والباقونَ بألفٍ[1]، وسبق بيانُ قراءة الجمهور، وقراءة قُنبل فيها أوجه، **أحدُها**: أنها جوابٌ لقَسَم مُقدَّرٍ، تقديرُه: واللّه لأُقْسِمُ، والفعلُ للحالِ؛ فلذلك لم تَأْتِ نونُ التّوكيدِ، **والثّاني**: أنه فِعلٌ مُستقبلٌ، وإنّما لم يُؤْتَ بنونِ التّوكيدِ؛ لأنَّ أفعالَ اللّه حقٌّ وصدقٌ؛ فهي غنيةٌ عن التّأكيدِ بخلاف أفعالِ غيره.

والثالث: أنّها لامُ الابتداءِ، وليستْ بلامِ القَسَمِ. نحو: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ﴾ [النّحل: 124] والمعروفُ أنَّ لامَ الابتداءِ لا تَدْخُل على المُضارع إلاَّ في خبر (إنَّ)؛ نحو: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ﴾ [النحل: 124] وهذه الآيةُ نظيرُ الآيةِ التي في سورة يونس ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [يونس: 16] فإنهما قرآها بقصر الألف. ولم يُخْتَلَفْ في قولِه: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ﴾ أنّه بألفٍ بعد (لا)؛ لأنه لم يُرْسَمْ إلاَّ كذا، بخلاف الأولِ فإنّه رُسِمَ بدون ألفٍ بعد (لا)، وكذلك في قولِه: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ [البلد: 1] لم يُختلَفْ فيه أنَّه بألفٍ بعد (لا)[2].

بَلاغَةُ الكِنايةِ عنْ تأكيدِ القَسَمِ بنَفْيِهِ:

عظمةُ مكانةِ يومِ القيامةِ، فكأنَّهُ لا أعظمَ منهُ عند الله تعالى

وصيغةُ ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ صيغةُ قَسَمٍ، أُدْخِلَ حرفُ النَّفي على فعلِ ﴿أُقْسِمُ﴾ لقصدِ المبالغةِ في تحقيقِ حُرمةِ المُقْسَمِ بهِ، بحيثُ يوهمُ للسّامعِ أنَّ المُتكلِّمَ يَهُمُّ أن يُقسِمَ بهِ ثم يترك القَسَمَ رغبة عن الحنْثِ بالمُقْسَمِ به فيقولُ: لا أُقْسِمُ بهِ؛ أيْ: ولا أُقسمُ بأعزَّ منهُ عندي، وذلكَ كنايةٌ عن تأكيدِ القَسَمِ.

بلاغة تأكيدِ المدحِ بما يُشبه الذّمّ:

أساليبُ البيانِ بمقاصدِها، ودقائقُ النّظمِ بمراميهِ

يرى ابن عاشور أنَّ قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيه مُحسِّنٌ بديعيٌّ من قبيلِ ما يُسمَّى تأكيد المدح بما يُشبه الذَّمّ[3]، وهو قائلٌ به دون سابقٍ له؛ فهي من انفراداته البيانيّة، وذلك على جعل

(1) ابن الجزريّ، النّشر: 2/ 282، وتحبير التّيسير، ص: 598.
(2) السّمين، الدُّر المصون: 10/ 563 - 565، والكرمانيّ، مفاتيح الأغاني، ص: 418.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 338.

نفي المُقسَم به بأنَّه عظيمُ المكانة، عزيز الجناب، فلا يحتاج إلى قسم، ولمّا كان من أغراض القَسَم تعظيم المُقسَم به - وعليه فالقَسَم مدحٌ - كان نفيُ القَسَم أشبه بنفي التّعظيم عمّا هو عظيمٌ؛ فأشبه الذّمَّ، ولكن لمّا كان نفيُ القَسَم أبلغَ من إثباته لأنَّه تأكيد تعظيم وزيادة مدحٍ، كان ذلك من تأكيدِ المدح بما يُشبه الذّمَّ، وهذه من فرائد ابن عاشور، ودقائق نظره في مقاصد الأساليب.

أغراضُ نفيِ القَسَمِ في القرآنِ الكريمِ:

تعددُّ الأغراضِ البلاغيَّةِ في آياتِ نفي القَسَمِ من دلائلِ الإعجازِ القرآنيِّ

وردَتْ صيغَةُ نفي القَسَمِ في القرآنِ الكريم في سبعةِ مواضعَ بثمانيةِ أقسامٍ مَنفيَّةٍ، وهي قوله تعالى: ﴿*فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ [الواقعة: 75]، وقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾ [الحاقّة: 38 - 39]، وقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: 40]، وقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، وقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥﴾ [التكوير: 15]، وقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦﴾ [الانشقاق: 16]، وقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١﴾ [البلد: 1].

وقد جاء نفيُ القَسَمِ في هذه المواضعِ لأغراضٍ[1] تُعلم من سياق الآيات، فكلُّ آيةٍ لها معناها الذي سيقت له، ومضمونها المُراد التّنبيه عليه، ونفي القَسَم إنّما يتبع ذلك بحسب القول المُعتَمَد في تفسير الآية، وهي دلالاتٌ متفاوتةٌ متعددةٌ متنوعةٌ، وقد سبق بيان غرضِ نفي القَسَمِ في هذا الموضع.

دلالةُ التّعبيرِ بالفعلِ المُضارِعِ:

تجدُّدُ نفي القَسَمِ واستمرارِه لتنبيه مَن تتجدَّدُ غفلتُهم ويستمرُّ عنادُهم

عبَّرَ النَّظمُ الحكيمُ عن القَسَم بالفعلِ المضارعِ ﴿أُقۡسِمُ﴾ وعدلَ عن صيغةِ المُضيِّ فلم يَقُلْ: (أقْسَمْتُ بيوم القيامةِ)، وذلك للدَّلالةِ على تجدُّدِ القَسَم واستمرارِه توكيدًا لمكانةِ هذا اليوم المهيبِ الذي يجمعُ اللّه فيه الخلائقَ أجمعينَ للحسابِ، ويُجازيهم بأعمالهم، إنْ

(1) سمية عناية، صيغة نفي القسم في القرآن، ص: 237 - 239.

خيرًا فخيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ، فالقَسَم بيوم القيامة مُستمرٌّ مُتجدِّد؛ لتنبيه الغافلين الذين تتجدَّد غفلتُهم، ويستمر عنادُهم.

نوعُ الباءِ ودلالتها:

جاءتْ باءُ القَسَم في قولِ اللّه تعالى: ﴿بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ للإلصاقِ، وذلك لإلصاقِ التَّعظيم بهذا اليوم الجليلِ وإرساءِ مهابته في نفوس المُتلقّينَ، فإنَّه سبحانه لا يُقسِمُ إلّا بما له مكانةٌ عظيمةٌ عنده، إرشادًا للمُتّقينَ، وزجرًا للعاصينَ المُكذِّبينَ.

القَسَمُ بيومِ القيامةِ للتّعظيمِ ولإرشادِ المتّقينَ وزَجْرِ العاصينَ المُكذِّبينَ

غرضُ القَسَمِ بيومِ القيامةِ:

جرتِ العادةُ على القَسَم بالأشياءِ التي عَظُمَ خطرُها، وجلَّ قدرُها في القلوبِ؛ وجلالةُ خطرِها يكونُ بأحدِ وجهيْن: إمّا بما كثُرَتْ منافعُها؛ فيكونُ خطرُها مُشاهَدًا معروفًا، أو بعِظَمِ خطرِها بالدَّلائلِ والأخبارِ، وعِظَم يومِ القيامةِ بما جَلَّ خطرُه في القلوبِ؛ وثَبُتَ القولُ بكونِه بالدّلالاتِ والبراهينِ. وقد أقسمَ اللّه سبحانه بأشياء لتأكيدِ ما يُعْرَفُ بيانُه ويَجِبُ القولُ به، لولا القَسَمُ لو أُمعنَ النَّظر فيه؛ وأُعملت فيه الرويَّة؛ لذلك استقام القَسَم بها[1]. وقدْ أقسم سبحانه بيومِ القيامةِ على ثبوتِ البعثِ وقيامِ الخَلقِ للحسابِ، فأقسَمَ بالشَّيءِ على نفسِه، لما فيه من الدّلالةِ على عظَمَتِه وخَطَرِه، وقد ورد هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾ [الزُّخرف: 1 - 3][2].

القَسَمُ بالشَّيءِ على نفسِهِ للدّلالةِ على عظيمِ الخَطَرِ وكبيرِ الشَّأنِ

نَوعُ الإضافةِ ودلالتُها:

أضافَ النّظمُ الحكيمُ لفظَ (يوم) إلى ﴿ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، والإضافةُ هَهُنا إضافةٌ معنويَّةٌ أكسبتِ اليومَ نوعًا من التَّخصيصِ، إذِ الأصلُ: (لا أُقْسِمُ باليومِ الذي تقومُ فيه القيامةُ)، فعدلَ عن ذلك إلى ﴿بِيَوۡمِ

يومُ القيامةِ ظرفٌ لما يجري فيه من العدلِ والفَصْلِ بين الخلائقِ

(1) أبو تمّام، ديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التّبريزيّ: 2/ 287، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 338، و(الإغريضُ): الطَّلْعُ وقيل البَرَدُ، و(توَمٌ): جمع تؤمةٌ وهي اللّؤلؤة العظيمةُ.

(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السُّنّة: 10/ 335.

ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، فالإضافةُ هُنا للدلالةِ على الظّرفيّةِ الزّمانيَّةِ، وذلك بوصفهِ ظرفًا لما يجري فيه من عدل الله وإفاضة فضله وما يحضره من الملائكة والنفوس المباركة[1].

مَعنَى تعريف لفظِ ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾:

جاءتْ لام التَّعريفِ في كلمةِ ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ من قولِ الله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ للعهدِ الذِّهنيِّ، إذ لم يسبقْ لها ورودٌ في السّورةِ الكريمةِ، والتَّعريف بلام العهدِ الذِّهنيِّ يشيرُ إلى أنَّ يومَ القيامةِ من الأمورِ البديهيَّةِ المُستقرَّةِ في الأذهانِ، فلا مجالَ لإنكارِهِ أو جحدِهِ.

القيامةُ بديهةُ العقولِ واعترافُ القلوبِ، ولا يُنكرها إلّا فاسدُ الطَّبعِ

توجيهُ تخصيصِ اسم ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بالذِّكْرِ:

آثَرَ القرآن المجيد التعبيرَ بـ(يوم القيامَةِ) دون غيرِه من الأسماءِ كيوم الحسابِ واليوم الآخِرِ، وذلك باعتبارِ أنَّ ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ هي الاسمُ العَلَمُ على ذلك الحدثِ الكونيِّ، فقد وردَ في القرآنِ في سبعينَ موضعًا، فهو الأصل في الاستعمال، فالقيامةُ عبارةٌ عن قيامِ الساعةِ، وأصلُها ما يكونُ من الإنسانِ من القيامِ دَفْعَةً واحدةً، أُدْخِلَتْ فيها الهاءُ تنبيهًا على وقوعها دَفْعَةً. فأرادت الآيةُ الإخبارَ عمّا يكون للمُنكرينَ الجاحدينَ، بقطع النظر عن تخصيص بقيَّةِ الأوصاف بالذِّكرِ، إذ القضيةُ المحوريَّةُ في السّورةِ هي إثباتُ البعثِ وقيامُ الخَلْقِ للحسابِ والجزاءِ والعقابِ؛ ولذا فإنَّ التعبيرَ بالقيامةِ في هذا السّياقِ أقوى في الدّلالة، وأبلغُ في الترغيبِ وأرسخُ في التَّحذيرِ.

يومُ القيامةِ هو الاسمُ العلمُ على البعثِ وهو الأنسبُ بمحورِ السّورةِ

دلالةُ العطفِ بالواوِ:

عَطَفَ القرآن المجيد قولَه تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ على قولِه: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بالواو، لاتفاقِهما في الإنشائيَّةِ غيرِ الطلبيَّةِ، وهي هَهُنا القَسَمُ، وقد اختلف العلماءُ والمُفسِّرونَ

مقصودُ القيامةِ إظهارُ أحوالِ النفسِ اللَّوّامَةِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 338.

في توجيه المُرادِ بالعطفِ على ثلاثةِ أقوالٍ، **الأوَّلُ**: أنَّهُ تعالى أقسمَ بالنَّفس اللَّوّامةِ كما أقسمَ بيومِ القيامةِ، فيكونانِ قَسَمَيْن، وفي العطفِ بالواوِ تأكيدٌ للجملة المعطوف عليها. **والثاني**: أنَّهُ أقسمَ بيومِ القيامةِ، ولم يُقسم بالنفسِ اللَّوّامةِ، ويكون تقديرُ الكلامِ: أُقسِمُ بيوم القيامة ولا أُقسِمُ بالنفس اللَّوّامة[1]، تحقيرًا للنّفس اللّوّامة؛ لأنَّ النَّفس اللّوّامة إمّا أن تكون كافرةً بالقيامة مع عِظَمِ أمرها، وإمّا أن تكون فاسقةً مُقصِّرةً في العمل، وعلى التقديرَيْن فإنَّها تكون مُستحقرةً[2]. **والثّالثُ**: أنَّهُ نفَى القَسَمَ بهما معًا.

والقول الأوَّلُ أقربُ لمقصود النَّصّ؛ لأنَّ المقصودَ من إقامةِ القيامةِ إظهارُ أحوالِ النُّفوسِ اللّوّامة، في مصيرها إمّا بسعادتها أو شقاوتها، فقد حصل بين القيامة والنفوس اللَّوّامة هذه المناسبة الشّديدة، وكذلك فإنَّ القَسَمَ وقعَ بالنَّفسِ اللَّوّامةِ على معنى التّعظيم لها من حيث إنَّها أبدًا تستحقرُ فعلها وجدَّها واجتهادها في طاعة الله[3]، ومناسبةُ القَسَمِ بها مع يوم القيامةِ أنّها النّفوس ذات الفوز في ذلك اليوم[4].

فائدةُ إعادةِ فعل القَسَم المَنْفيّ:

استقلالُ القَسَمِ بالنَّفسِ اللَّوّامةِ لا يدفع التّرابطَ بينها وبين القيامةِ

أعادَ القرآن المجيد فِعْلَ القَسَمِ في قولِ الله تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ دون أن يقول: (لا أُقسمُ بيوم القيامةِ والنّفسِ اللَّوّامة) للتّنبيهِ على أنَّ كُلًّا من المُقْسَمِ بهِ مقصودٌ مُستقلٌّ بالقَسَمِ، لما أنَّ له نوعَ فضلٍ يقتضي ذلك؛ لبيانِ شِدَّةِ لومِ الإنسانِ لنفسِهِ في الدّنيا والآخرةِ[5]؛ فإعادة ذِكْرِ فعل القَسَمِ المَنْفيّ لبيان استقلال كلِّ قَسَمٍ عن الآخر في ذاته، مع وجود الترابط بينهما.

(1) الماورديّ، النُّكتُ والعيون: 6/ 151.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 721.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 721.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 338.
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 437.

دلالة تعريفِ لفظِ (النَّفْسِ):

جاءتِ اللّامُ في كلمةِ (النَّفسِ) لإفادَةِ تعريفِ الجنسِ؛ أي: الأَنْفُسِ اللَّوّامةِ. وقيل: هي نفسٌ مُعيَّنةٌ، وهي نفس آدم ﷺ لم تزل لائمةً له على فعلِه الذي أخرجَه من الجنة[1].

دلالةُ لفظِ ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾:

يحتملُ لفظُ اللَّوّامة معاني متنوعةً، ووَصْفُ اللَّومِ ينطبقُ على جميعِها

اختُلف في تحديد المُرادِ باللَّوّامة؛ فقيل: هي خَيِّرَةٌ وشَرِّيرَةٌ، فالخيِّرةُ تكون سببًا للنّجاةِ فيه، والأخرى تكون سببًا للهلاكِ فيهِ، فإن لامت على الشَّرِّ أو على التّهاون بالخيرِ أُنْجيتْ، وإن لامتْ على ضدِّ ذلك أُهْلِكَت، وكيفما كانت لا بد أن تلوم، وهي بين الأمّارةِ والمُطمئنَّةِ، فما غلب عليها منهما كانت في حَيِّزِه، فالمطمئنَّةُ التي انقادت لأوامرِ الله، والأمّارةُ المخالفةُ لها المتَّبعةُ للهوى، واللَّوّامةُ هي المجاهدةُ، فتارةً لها اليدُ وتارةً عليها؛ لأنَّها بين طوري الخيرِ والشَّرِ والكمالِ والنُّقصانِ، ولهذا جمع بينَ القيامةِ وبين اللَّوّامةِ؛ لأنَّ الثوابَ والعقابَ للآدمي دونَ الملائكةِ والحيواناتِ العُجْم، واللَّوّامةِ يشتدُّ لومُها في ذلك اليوم على عدم الخيرِ أو عدمِ الزّيادةِ منه[2]، وقيل: بل هي النَّفسُ التي قد اطمأنَّت فى ذاتها، وترشَّحت لتأديب غيرها، فهي النَّفس المُطمئنّة[3].

نُكتةُ التّعبيرِ بصيغةِ المبالغةِ:

كثرةُ اللّومِ شعورٌ بالخَسارةِ وإحساسٌ بالنَّدمِ

وصفَ القرآن المجيد (النَّفْس) بصيغةِ المبالغة ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾؛ لأنَّ المُرادَ أنَّها النّفسُ التي تُكثرُ لومَ صاحبِها على التّقصيرِ في التَّقوى والطّاعةِ، ويتكرَّرُ منها هذا الفعلُ مرَّةً تلوَ الأخرى، وهذا اللومُ هو المُعبَّر عنه في الاصطلاحِ بالمُحاسبةِ، ولومُها يكونُ بتفكيرِها وحديثِها النفسيِّ. قال الحَسَنُ: (ما يُرى المؤمن إلّا يلومُ نفسَه على

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 343.
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 86.
(3) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 4/ 470.

ما فات ويندمُ، يلومُ نفسه على الشَّرِّ، لمَ فعلَهُ؟ وعلى الخيرِ، لمَ لمْ يَسْتَكْثِرْ منه؟)، فهذه نفوسٌ خَيِّرةٌ حقيقةٌ أن تَشرُفَ بالقَسَمِ بها، وما كان يومُ القيامةِ إلّا لِكرامَتِها[1].

فَنُّ صحّةِ التَّقسيمِ:

إقـامـةُ يـومِ القيامةِ لجزاءِ الـنّـفـوسِ بما اكتسبتْ

في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ فنُّ صِحَّة التّقسيم، أو ما يُسمَّى بالتَّناسب بين المعاني، فالآيةُ تُعدُّ من محاسن التّقسيم لتناسب الأمريْن المقسم بهما، فقد أقسمَ بيومِ البعثِ أوَّلًا، ثمَّ أقسمَ بالنُّفوسِ المَجزيَّةِ فيه على حقيقةِ البعثِ والجزاءِ[2].

تعيينُ جوابِ القَسَمِ ورَبْطِه مع القَسَميْنِ:

توكيدُ قضيةِ البَعثِ هو المُرادُ بالقَسَمِ أو بنفي الحاجةِ إلى القَسَمِ

تعدَّدتْ أقوالُ المُعربينَ في تعيينِ جوابِ القَسَمِ لقولِه تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، فقول الجمهور إنَّ جوابَ القَسَميْنِ محذوفٌ، وتقديره: لَتُبْعَثُنَّ، ويدلُّ عليه المُقسَمُ به وما بعدَه في قولِه: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾. وقيل: إنَّ القَسَمَ وقع على قولِه تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾، فهو جوابُ القَسَمِ[3]، ويرى بعض المُعربين أنَّ هذا ليسَ بقَسَمٍ على الحقيقةِ، بل هو نفيٌ للقَسَمِ، فلا يحتاجُ إلى الجوابِ، فكأنَّه تعالى يقولُ: لا أقسمُ بكذا وكذا على شيءٍ، فإنَّ هذه الأشياءَ من العَظَمَةِ والوضوحِ بحيث لا تحتاجُ إلى قَسَمٍ، ولكنّي أسألك: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾؟، ويرى الرّازيُّ أنَّهُ أقرب الوجوهِ[4]، وضعَّفهُ أبو حيّان، والسّمين[5].

---

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 338.

(2) درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 10/ 300.

(3) الزّجّاج، معاني القرآن: 5/ 251، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 343، والسّمين، الدُّرّ المَصون: 10/ 565، والخطيب وآخرون، التّفصيل: 29/ 356 - 357.

(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 721.

(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 344، والسّمين، الدُّرُّ المَصون: 10/ 562.

علّةُ فصلِ قولِه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾:

بـيـانُ المـعـاني المُتقدِّم يقتضي الـفَـصْـلَ بين الجُمَلِ

فصلَ القرآن المجيد قولَ الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ عن قولِه سبحانه: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، إمّا على أنّها استئنافٌ بيانيٌّ[1]، وإمّا أنّها جوابُ القَسَم على رأي القائلين به[2]، وإمّا أنّها بيانٌ لجواب القَسَم المُقدَّر فتكون من كمالِ الاتّصالِ.

بَلاغةُ الاستفهامِ وغَرضُه:

تـقـريـرُ حقيقةِ البعثِ تقتضي تـوبـيـخَ الـكـافـرِ وتجهيلَه

جاءَ الاستفهامُ بالهمزة في قولِ الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ للتّقريرِ والتّوبيخِ[3]، والتّهديد الخفيِّ والوعيدِ غير المباشرِ، وفيه كذلك تجهيلٌ لِمَن حسبَ هذا الحسبان، وهو استفهامٌ مَجازيٌّ لصدوره عن الله سبحانه، والمُرادُ إنكارُ ذلك الحسبانِ؛ أيْ: حسبانُ الإنسانِ أنَّ الله لا يقدرُ على جمعِ عظام الموتى، يعنى: لا إحياءَ بعد الموتِ، فهو لإنكار الواقع من التّكذيبِ بالبَعْثِ[4].

نكتةُ إيثارِ التعبيرِ بمُفرَدَةِ الحُسْبانِ:

يُـلـحـظُ في الـحُـسـبـانِ عـدُّ المَـظـنـونِ وهـو المناسبُ لجمعِ العظامِ

آثرَ النَّظمُ التعبيرَ بمادَّةِ الحسبانِ دونَ الظَّنِّ، فلم يَقُلْ: (أيظنُّ الإنسانُ ألَّنْ نجمعَ عظامه)، وذلك لمناسبة سياق الآية، حيث تناولت الآيةُ جمعَ العظامِ وهذا أمرٌ يحتاج إلى حسابٍ وعَدٍّ، فحسبانُ الإنسانِ واقعٌ على جمع العظام، فهي تحتاج تصورًا حسابيًّا في كيفية جمعِ العِظامِ وإعادة بنائها، فالنفيُ مُتسلِّطٌ على جمع العظام، والظَّنُّ أعمُّ من الحسبان، فكلُّ حسبانٍ ظنٌّ دون العكسِ.

---

(1) صافي، الجدول: 15/ 168.

(2) السّمين، الدُّرّ المَصون: 10/ 565.

(3) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 5/ 402، والصّاويّ، حاشيةٌ على الجلالين: 7/ 256.

(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 64، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 403، والمطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن: 4/ 321.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ (يَحْسَبُ):

الإنـكـارُ على المُنكرين مستمرٌّ في كـلِّ وقـتٍ وحينٍ

آثَرَ القرآن المجيد التّعبيرَ بالفعلِ المضارع (يَحْسَبُ) في قولِ اللّه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾، ولم يأتِ بصيغةِ المُضيِّ: (أحسبَ)، وذلك ليعمَّ الإنكارُ كلَّ الأوقاتِ الحاضرةِ والمستقبليّةِ؛ فهي المقصودة بالخطابِ الإنكاريِّ التَّقريريِّ.

مَعنَى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾:

إطـلاقُ الـكُـلِّ وتقييدُه بـإرادةِ الخصوص مَجازٌ مُرسلٌ

تعددَتْ أقوالُ العلماءِ في تحديدِ نوعِ لامِ التعريفِ في كلمةِ ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾، فذهبَ غالبُ العلماءِ إلى أنَّها للجنسِ[1]؛ أيْ: هذا النّوع الذي يقبلُ على الأُنْسِ بنفسهِ والنظرِ في عَطِفِه والسُّرورِ بحسبه[2]، وقال كثيرٌ منهم: المُرادُ: الإنسانُ الكافرُ المكذِّبُ، فقال جَمْعٌ من الأصوليّين: بل المُرادُ بالإنسانُ المُكذِّب بالبعثِ على الإطلاق[3]. وقالوا: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ وإن كانَ تعريفه هنا تعريفَ الجنسِ الذي يصدقُ على جميعِ الأفرادِ، فهو من العامِّ المُرادِ به الخاصُّ؛ أي: الإنسانُ الكافرُ، وإطلاقُ العامِّ مع إرادةِ الخاصِّ طريقه عند البلاغيّين هو المَجازُ المُرسَلُ، والعلاقةُ المختارةُ فيه هي الإطلاقُ والتَّقييد؛ يعني: أطلقَ العامَّ من دلالتهِ على العموم، وأعيدَ تقييده بالدّلالَةِ على الخصوص[4].

دلالةُ إسنادِ الفعلِ (يَحْسَبُ) إلى النوعِ:

غَـلَـبـةُ إنـكـارِ الـبـعـثِ على جنسِ الإنسانِ لغَلَبَةِ الطَّمعِ في حظوظِ الدنيا

أسندَ القرآن المجيد الفعلُ (يَحْسَبُ) إلى جنس الإنسان، وذلك لأنَّ أكثر النّاس كذلك لغَلَبَة الحظوظ على العقل إلّا مَن عصم اللّه[5]، والمُرادُ مَن يحسَبُ ذلك من جنسِ الإنسانِ، وهو كافٍ في إسنادِ الفعلِ إلى الجنسِ، وذلك بإسنادِ ما للبعضِ للكلِّ، وهذا جارٍ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 64، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 403.
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 86.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 722.
(4) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن: 4/ 321.
(5) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 87.

في (النَّفسِ اللَّوّامةِ) إذا أُريدَ بها الجنسُ، فلا يلزمُ الإقسامُ على النَّفسِ الفاجرةِ[1].

نكتةُ حَذفِ اسم (أنْ):

تقديرُ المحذوفاتِ بدلالةِ السّياقِ ومقصودِ الكلامِ

حذفَ النَّظمُ الحكيمُ اسمَ (أنْ) في قولِه: ﴿أَلَّن﴾ وهو مُركَّبٌ من حرفِ (أنْ) المفتوحةِ الهمزةِ المُخَفَّفةِ النّونِ التي هي أختُ (إنْ) المكسورةِ، واسمُ (أنْ) ضميرُ شأنٍ محذوف، والجملةُ الواقعةُ بعد (أن) خبرٌ عن ضميرِ الشَّأنِ[2]، ولم يأتِ التّعبير بـ (أيحسبُ أنَّنا لن نجمع) أو (أنَّ الأمرَ)، إشارةً إلى تمام القدرةِ العظيمةِ والسُّرعةِ البالغةِ في جمعِ العظامِ؛ فإنَّ الأمرَ كلَّه بالنسبةِ للّه تعالى لا يتجاوزُ كلمة (كُن)، وقد دلَّ على المحذوف إسنادُ فعل ﴿نَّجۡمَعَ﴾ إلى ضمير العَظَمَة.

نُكتةُ النَّفي بـ(لَنْ):

مـن دَيـدنِ المشركينَ قديمًا وحديثًا المبالغةُ في نفي البعثِ

آثَرَ النَّظمُ الكريم النَّفي بـ(لَنْ) دون (لا) في قولِ اللّه تعالى: ﴿أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾؛ وذلك لما في (لنْ) من توكيدِ النَّفي، إذْ كانَ فيمَن نزلَ الخطابُ بشأنِهم أوَّلَ الأمرِ مَن يبالغ في الإنكار[3]، فجيءَ بحرفِ (لن) الدّالِ على تأكيدِ النَّفي لحكايةِ اعتقادِ المشركينَ استحالةَ جمعِ العِظامِ بعد رِمامِها وتَشَتُّتِها[4]. ولعلمه سبحانه أنَّه سيكونُ فيمَن بعدهم مَن يبالغُ في نفي البعثِ كذلك.

لفظةُ ﴿نَّجۡمَعَ﴾ بينَ الحقيقةِ والمَجازِ:

الأمـورُ الغيبيّةُ تُـحـمـلُ على حقائقِها ما لم يمنع من ذلك مانعٌ عقليٌّ أو نقليٌّ

يحتمل لفظ ﴿نَّجۡمَعَ﴾ أن يكون محمولًا على الحقيقة إذا كان بمعنى جمعِ أجزاءِ الأجسامِ المُتفرِّقةِ، وإن كانَ البعثُ بخَلقِ أجسامٍ أخرى على صورِ الأجسامِ الفانية سواءً أكان خَلْقًا مُستأنَفًا أو مُبتدأً

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 445، وشيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 8/ 413.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 339.

(3) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 86.

(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 339.

من أعجابِ الأذنابِ على ما ورد في بعض الأخبار، فيكونُ فعلُ ﴿نَّجۡمَعَ﴾ مُستعارًا للخَلْقِ الذي هو على صورةِ الجسمِ الذي بَلِيَ، فهو تشبيه الخلق بالجمعِ على سبيلِ الاستعارةِ التَّصريحيّة التّبعيّة، ومناسبةُ استعارتِه مشاكلةُ أقوالِ المُشركين التي أُريدَ إبطالُها[1]، والقول بالحقيقة حقيقٌ بالقبولِ؛ لأنَّ حملَ الألفاظ على حقيقتها أوْلى من المَجازِ ما لم يمنع مانعٌ، وحمل الأمور الغيبيّة على الظّاهرِ أوْلى من تأويلها.

دلالةُ إسنادِ الفعلِ المُضارعِ لنونِ العَظَمَةِ:

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بصيغةِ المضارع لفعلِ ﴿نَّجۡمَعَ﴾؛ لاستحضارِ جمعِ العظامِ في صورةٍ حيَّةٍ ماثلةٍ للعيانِ؛ بقصد دحضِ حسبانِ الأثيمِ بعدمِ قدرةِ اللّه على جمعِ العِظامِ، ونظيرُهُ قول اللّه تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ [البقرة: 259]، كما آثَرَ النَّظْمُ الكريم إسنادَ فعلِ ﴿نَّجۡمَعَ﴾ إلى نونِ العَظَمَةِ؛ لتعظيم شأنِ البعث، وأنَّ الأمر هو بيد اللّه تعالى، فليس لأحدٍ أن يُنكر فعلًا للّه تعالى.

استحضارُ صورةِ الجمعِ حيَّةٌ ماثلةٌ للعيانِ

بَلاغةُ الكِنايةِ عن البَعثِ:

قولُه تعالى: ﴿نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ كنايةٌ عن البعثِ وإعادةِ الخلقِ، فلمّا ذَكرتِ الآيةُ نفي جمع العظام في حسبان الكافر الأثيم؛ دلَّت على إثباتِ البعثِ فيما يجب اعتقاده، وهو جمع العِظام لإعادة الرّوح في الأبدان، فأقرَّت الآيةُ ضدَّ ما اعتقده المشركون، ودعَوْا إليه مُستهزئين، فكان ذِكْرُ الأمرِ المُستهزَأ به لإثبات البعثِ، أقوى في الرّدِّ من مجرّد إثبات البعثِ بالتَّصريحِ المباشرِ.

ذِكـــرُ الأمـــرِ المُستهجنِ في حسبان الآثمين أقوى من مُجرَّدِ الإثباتِ الصَّريحِ

توجيهُ تخصيصِ العِظامِ بالذِّكرِ:

خصَّ النّظْمُ الكريمُ العِظامَ في قوله تعالى: ﴿نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ بالذّكر دون اللّحم وسائر أعضاء الجسد، والعظام هي كنايةٌ عن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 340.

الجسد كلِّه، وعلّة ذلك هو الردُّ على أقوالِ الكافرِ المُكذِّبِ، كما في قولِه اللّه تعالى على لسان الكُفّارِ: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ [يس: 78]، وقولِه: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [الإسراء: 49]، و﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١﴾ [النازعات: 11]، فهم احتجّوا باستحالةِ قبولِ العظامِ للإعادةِ بعد البِلَى، على أنَّ استحالة إعادةِ اللَّحمِ والعَصَبِ والفؤادِ بالأولى. فإثباتُ إعادةِ العِظام اقتضى أنَّ إعادةَ بقية الجسم مساوٍ لإعادةِ العظم، وفي ذلك كفايةٌ من الاستدلالِ مع الإيجازِ[1]، وإنمّا ذَكر الكفّارُ المعاندونَ العظامَ؛ لأنَّها هي ما يبقى باديًا للعيانِ من جسدِ الإنسانِ فترةً أطولَ، فتمسَّكوا بما شاهدتهُ أعيُنُهم لغَلَبَةِ المادَّةِ على حِسِّهم وفِكرهم، وقيلَ ذَكَرَ العظامَ؛ لأنَّ العظامَ هي قالبُ الخَلقِ، لا يستوي الخَلقُ إلا باستوائِها[2]، وهذا بضَميمةِ السّابق لائقٌ.

اكتفى بذِكْرِ العِظامِ كنايةً عن الجَسَدِ كلّه دفعًا لحكاية أقوالِ الكُفّارِ

مَعنَى ﴿بَلَىٰ﴾ ونُكتةُ التَّعبيرِ بها دونَ (نَعَم):

آثَرَ القرآن المجيد التّعبيرَ بحرفِ الجوابِ ﴿بَلَىٰ﴾ دونَ (نعم) في قولِه: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾؛ لأنَّ (بَلَى) مختصَّةٌ بإبطالِ النَّفيِ، سواءٌ أكانَ خبرًا أم استفهامًا، فهي تنقضُ النَّفيَ على أيَّةِ حالٍ[3]، فجاءتْ هَهُنا جوابًا للاستفهام المُنسحبِ على النّفي؛ أيْ: (بلى نَجْمَعُها)[4].

اختصاصُ (بَلَى) بإبطالِ النَّفي في الخبرِ أو الاستفهامِ

غرضُ جمعِ لفظِ ﴿قَٰدِرِينَ﴾:

في إعرابِ كلمةِ ﴿قَٰدِرِينَ﴾ قولان مشهوران؛ النَّصبُ على الحالِ من فاعلِ الفعلِ المُقدَّرِ المدلولِ عليه بحرفِ الجواب؛ أيْ: (بَلى نَجْمَعُها قادرينَ)، والنَّصبُ على خبرِ (كان) مُضمرة؛ أي: (بَلَى كُنّا قادرين في الابتداءِ)، وهذا ليس بواضحٍ. وقيل: مفعولٌ به ثانٍ

المناسبةُ بين الصّيغ من رعاية القرآنِ للألفاظ إذا تناغمتْ مع البيان

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 340.

(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 8/ 280، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 93، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 344.

(3) السّامرّائيّ، معاني النّحو: 4/ 275.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 344.

لفعلٍ محذوفٍ؛ أيْ: (بلى فليحسَبَنا قادرين)، وسُمّي هذا بالنَّصب على التَّكريرِ. وقيل: نُصبت على الخروج من ﴿نَّجۡمَعَ﴾، كأنَّك قلتَ في الكلام: (أيحسبُ أنْ لنْ نَقوى عليه، بلى قادرينَ على أقوى منه)، يريد: (بلى نَقْوَى قادرين) أو (بَلى نَقْوَى مُقتَدِرينَ على أكثر من هذا) وضعَّفوا هذا القولَ[1]. وعبَّرَ بصيغةِ الجمعِ ﴿قَٰدِرِينَ﴾ دون الإفراد فلم يَقُلْ: (بلى هو قادرٌ)، ليُناسب الجمع في فعل ﴿نَّجۡمَعَ﴾، فهو مردودٌ عليه؛ أيْ: نجمع حال كوننا قادرين، وهو الأنسبُ بمعنى العَظَمَةِ والفخامة.

نُكتةُ التَّعبيرِ بحرفِ الاستعلاءِ:

بيانُ تمامِ القُدرةِ والاقتدارِ على البَعْثِ وإعادةِ الخَلْقِ

جاءَ استعمالُ حرفِ ﴿عَلَىٰٓ﴾ في قولِه: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ على أصلِ معناه وهو الاستعلاءِ، لبيانِ تمامِ القُدرةِ وطلاقتها؛ فهو سبحانه قادرٌ على تفصيلِ عظامِه وتفتيتها من بعد ارتتاقها حال كونها نطفةً واحدةً؛ لأنَّ كلَّ مَن قدر على التَّفصيلِ قَدَرَ على الجمعِ والتَّوصيلِ[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بمُفرَدَةِ التَّسويةِ:

طلاقةُ القُدرةِ على خلقِ أصغرِ العِظامِ مستقيمةً معتدلةً بلا نقصانٍ أو تفاوتٍ

آثر القرآن المجيد التَّعبير بفعلِ ﴿نُّسَوِّيَ﴾ لما في مادَّة التَّسويةِ من الدّلالةِ على الاستقامةِ والاعتدالِ وكمالِ النُّضجِ[3]. إذِ المُرادُ بيانُ القدرةُ على ضمِّ سُلاماتِه على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعضٍ كما كانت من غير نقصانٍ ولا تفاوتٍ[4]؛ أيْ: إعادة خلق البنانِ مُقَوَّمةً مُتْقَنَةً، بأدقّ ممّا كانت عليه[5]، هذا ما يقتضيه معنى المُفردة

(1) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 22/ 477 - 478، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 344، والسّمين، الدُّرُّ المَصون: 10/ 567، والخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل: 29/ 358.

(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 88.

(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، ولسان العرب: (سوا)، والرّاغب، المُفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سوى).

(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 722.

(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 341، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سوى).

ويدلُّ عليه السّياق، ويحتمل معنًى آخر وهو أنَّ المُرادَ بالتَّسويةِ ظاهرُ المعنى في التّسويةِ بينَ شيئَيْنِ، بأنْ يجعلَ كفَّه كخُفِّ الجَمَلِ لا أصابع لها، وقيل: بل نجعلَ أصابعَه كلَّها على قدرٍ واحدٍ حتى لا ينتفعَ بها، كصفيحةٍ مستويةٍ لا شقوق فيها، فيعدمُ الارتفاقَ بالأعمالِ اللَّطيفةِ كالكتابةِ والخياطةِ وسائر الأعمالِ اللَّطيفةِ التي يُستعان عليها بالأصابعِ، والقولُ الأوّل أقربُ إلى الصَّواب بدلالةِ السّياقِ[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمصدرِ المُؤَوَّلِ دونَ الصَّريحِ:

إحداثُ تسويةِ البنانِ في المستقبلِ أمرٌ حتميٌّ

آثَرَ البيانُ القرآنيُّ التعبيرَ بالمصدرِ المؤَوَّلِ بأنْ والمضارعِ ﴿أَن نُّسَوِّيَ﴾، وعدلَ عن التَّعبيرِ بالمصدرِ الصَّريحِ، فلم يَقُلْ: (بلى قادرينَ على تسويةِ بنانه)، وذلك لأنَّ في المصدرِ المُؤَوَّلِ دلالةً على أمرَيْنِ، **الأوَّلُ**: الدلالةُ على الحدثِ في ذاته وهو التسويةُ، **والثّاني**: الدّلالةُ على الزَّمنِ وهو المضارعَةُ، بخلافِ المصدرِ الصَّريحِ الذي يدلُّ على الحَدَثِ فحسب. وقد أفاد المصدرُ المُؤَوَّل هَهُنا بيانَ إحداث التَّسويةِ في المستقبل، وهو ما يقتضيه إحياء الموتى.

نكتةُ التَّعبيرِ بالبَنانِ دون العِظامِ:

إذا تـمَّ البَنانُ اكتملَ البُنيانُ

آثَرَ القرآن المجيد ذِكْرَ البَنانِ دون العظام في قولِ اللّه تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾، وذلك لأنَّ المُرادَ بالبنانِ أصابعه أو سلامياته، وهي عظامُه الصِّغار التي في يَدَيْه ورِجْليه، كلٌّ منها طولُ إصبعٍ وأقلَّ، فخصَّها لأنّها أطرافه وبها يتُّم خلقه، فإذا سوّيت كان جمع العِظام الكبار حاصلًا بطريقِ الأوْلَى؛ لأنَّها أبينُ. فتسويةُ البنانِ كِنايةٌ عن تسويةِ جميعِ البُنْيانِ.

القادرُ على تفصيلِ الأناملِ قادرٌ على جمعِها

أو أن نسوّيها الآنَ فنجمعَها على ما كانتْ عليه حالَ كونِها نُطفةً من الاجتماعِ قبل فتْقِها وتفريقِها حتى تكونَ كَخُفِّ البعيرِ، فإنَّ القادرَ على تفصيلِ الأناملِ حتَّى تتهيأ للأعمالِ اللَّطيفةِ قادرٌ على

(1) الرّاغب، المُفردات: (سوا)، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 94.

جمعِها، فتزولُ عنها تلكَ المنفعةُ. ومن قدرَ على تفصيلِ الماءِ بعد اختلاطه وجمعِه بعد انفصالِه قادرٌ على جمعِ التُّرابِ بعد افتراقِه، وكيفما كان فهو تنبيهٌ على التَّأمُّلِ في لطفِ تفصيلِ الأناملِ وبديعِ صنعِها الموجبِ للقطعِ بأنَّ صانعَها قادرٌ على كل ما يريدُ[1]. وآثَر التَّعبيرَ بها دون مرادفاتها؛ لأنَّ البنانَ به يعتمدُ كلُّ ما يكون للإقامةِ والحياةِ[2]؛ لأنّ بها صلاحَ الأحوالِ التي يُمكن للإنسانِ أن يَبِنَّ بها، أيْ: يُقيم[3].

نوعُ ﴿بَلَىٰ﴾ ودلالتها:

فصلَ النَّظْمُ الحكيمُ قولَ الله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ عن الجملةِ السّابقةِ عليه، وهي قولُه: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾؛ لأنَّ موقعَ الجملةِ بعدَ (بَل) بمنزلةِ الاستئنافِ الابتدائيِّ للمناسبةِ بين معنى الجملتيْنِ على تقديرِ (بل) للانتقال لا للإبطالِ؛ أيْ: للإضرابِ عن إنكارِ الحسبانِ إلى الإخبارِ عن حالِ الإنسانِ الحاسبِ بما هو أدخلُ في اللَّوم والتَّوبيخِ من الأوَّلِ. كأنَّه قيل: دعْ تعنيفَه، فإنَّه أشطُّ من ذلكَ، وأنَّى يرتدعُ وهو يريدُ ليدومَ على فجورِه[4].

استئنافُ كشفِ خفايا نفوسِ الكُفّارِ المُكذِّبينَ بالبعثِ والقيامةِ

بلاغةُ الاحتمالِ بين الاستفهامِ والخَبَرِ:

يحتمل قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ وجهين، الأوَّلُ أنْ يكونَ استفهامًا استنكاريًّا، والتَّقدير: (بل أيُريدُ؟)، سواءٌ استفهمَ عن شيءٍ أو لا؟ ثمَّ أضربَ عن الاستفهامِ عنهُ إلى الاستفهامِ عنْ أمرٍ آخرَ، كأنَّه قيل: مَنشأُ إنكارِ البعثِ هل هوَ حُسبانُ عجزِنا عن البعثِ وجمعِ الأجزاءِ؟ أو إرادةُ أن يدومَ على ما اعتادَه

علَّةُ إنكارِ البعثِ قائمةٌ في أحشاءِ الشّهواتِ وثنايا الشُّبهاتِ

(1) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 89.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بنن).
(3) الرّاغب، المُفردات: (بنن).
(4) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 153.

من المعاصي وأنواعِ الفجورِ فيما يستقبله من الزَّمان؟ والوجهُ الثاني: أن يكونَ المعطوفُ إيجابًا، فاستفهمَ أوّلًا على سبيل الإنكار على حسبانه، ثمَّ أضربَ عن أصلِ الاستفهام إلى الإخبارِ عن حالِه بما هو أدخلُ في اللَّوم عليه من الأول، كأنَّه قيل: دعِ الإنكارَ على حسبانِه أمرًا باطلاً في حَقِّنا؛ فإنَّ في هذا الإنسانِ ما هوَ أقبحُ من ذلك، وهو أنَّه يحبُّ اللّذاتِ العاجلة والحياةَ الفانيةَ وانهماكَه في قضاءِ شهواتِه النفسانيَّة[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المُضارِعِ:

تـجـدُّدُ عـزمِ الـكـافـرِ عـلى الـفـجـورِ عـلَّـةُ بـقـائِـهِ في إنـكـارِ البعثِ

آثَرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالفعلِ المضارعِ ﴿يُرِيدُ﴾ لبيانِ شِدَّةِ رغبةِ الإنسانِ بالفجورِ وقوَّةِ عزمِه وتجدُّدِ هذا العزم وتلكِ الإرادة فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه، وكانَ تجدُّدُ عزمِ الإنسانِ الكافرِ على الفجورِ داعيًا إيّاه إلى المبالغةِ في إنكارِ البعثِ.

فائدةُ حذفِ مفعولِ ﴿يُرِيدُ﴾:

بيانُ عمومِ إرادَةِ الفجورِ واتِّباعِ الشَّهواتِ

في قولِ الله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ حذفَ القرآن المجيد مفعولَ ﴿يُرِيدُ﴾ ودلَّ عليه التَّعليلُ في قولِه: ﴿لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾، والتَّقدير: (بل يريد الإنسانُ شَهَواتِه ومعاصيَه ليمضيَ فيها أبدًا دائمًا)[2]، ففي هذا الحذفِ إشارةٌ إلى أنَّ كلَّ ما يُريده بمقتضى طبعِه وشهواتِه خارجٌ عن طورِه، فهو معاقَبٌ عليه لأنَّه عبدٌ، والعبدُ يَجبُ عليه أنْ يكونَ مُراقِبًا للسَّيدِ، لا يريد إلّا ما يأمره به، فإذا أراد ما أمره به لم تنسب إليه إرادةٌ؛ بل الإرادةُ للسَّيِّدِ لا له[3].

معنَى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، ودلالةُ الإظهارِ في موضعِ الإضمارِ:

أظهر القرآن المجيد لفظَ ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ في قولِه: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ

(1) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي، والبغويّ، معالم التّنزيل: 8/ 412 - 413.
(2) السَّمين، الدُّرُّ المَصون: 10/ 566.
(3) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 90.

لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾، وكان مُقتضى الظّاهر: (بل يُريدُ ليفجَرَ أمامَه) على إرادةِ ضميرِ الغائبِ، ولكنَّهُ عدلَ عن الإضمارِ إلى الإظهار؛ لزيادةِ الإنكار والتَّوبيخ والتَّقريع والتّبكيت؛ لأنَّ المقامَ لتقريعِه والتَّعجيبِ من ضلالِه[1]، وللتَّصريح بالتَّعميمِ لمُقتَضى الطَّبعِ اللئيم الموجِبِ لهُ عدمَ الفكرِ في الآخرةِ مع شدَّةِ ظهورها؛ لأنَّه معنيٌّ بشهواتِه، فلا نجاة إلّا بعصمةِ اللّه تعالى[2]، فيكون التعريفُ في لفظ ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ للجنس[3]، وهوَ الأليقُ بالسّياقِ، إذِ هو المُرادُ باستنكارِ هذا الحسبانِ الآثمِ والرَّغبةِ في الفجورِ أنْ يكونَ تذكرةً للمُتَّقينَ المُصدِّقين، وإنذارًا وتهديدًا للمُكذِّبينَ المعاندينَ.

تـكـرارُ الـلَّـفـظِ إمّـا للتَّعميمِ، أو لـلـتَّـقـريـعِ والتَّوبيخِ

نوعُ اللّامِ ودلالةُ ذِكْرِها:

اللّامُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ للتَّعليلِ، والأصل أن يُقال: (بل يريد الإنسان أن يفجر)؛ لأنَّ فعلَ الإرادةِ مُتعَدٍّ بنفسِه، لا باللّام كما قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النِّساء: 28]. غير أنَّه جاء باللّام للدلالةِ على قوَّةِ إرادةِ الفجورِ والشهواتِ عند الإنسانِ وشدةِ الرغبة فيها، وهذه مَدْعاةٌ إلى الندمِ البالغِ، وكثرةِ لومِ الإنسانِ لنفسِه؛ فارتبط ذلك أحسنَ ارتباطٍ بالنَّفسِ اللَّوّامة[4].

ذِكْـــرُ لامِ التَّعليلِ؛ لزيادَةِ توكيدِ قوةِ إرادةِ فجورِ الإنسانِ

بلاغةُ اختيارِ مُفردة (يفجر) مادّةً وصيغةً:

آثرَ القرآن المجيد التَّعبيرَ بمادَّةِ الفجورِ في قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ لما فيها من الدّلالةِ على التَّكذيبِ والانبعاثِ والتَّفَتُّحِ في المعاصي والمَيْلِ عن الحقِّ[5]، وشدَّةِ الرَّغبةِ في اقترافِ

كـثـرةُ المـعـاصي والـتَّـكـذيـب بـالـحـقِّ انـفـجـارٌ في فطرةِ الإنسانِ وخـــروجٌ عـن مساره

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 341.
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 90.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 64، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 403.
(4) السّامرّائيّ، لمسات بيانيّة، ص: 207.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فجر).

الموبقاتِ[1]، وهذه المعاني مأخوذةٌ من دلالة لفظ الفجور في أصل معناها الدّالِّ على الانفجار والانفتاح الشَّديد.

وعبَّرَ بصيغةِ المضارعةِ لبيانِ رغبته في تجدُّدِ الفجورِ ليقع منه الفجور في المستقبلِ من زمانِه بأن يقضيَ شهواتِه ويمضي راكبًا رأسَه في هواه، ونفسُهُ الكاذبةُ توردُ عليه الأماني وتوَسِّعُ له في الأملِ وتُطْمِعُه في العفوِ من دون عملٍ[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالظَّرفيَّةِ ﴿أَمَامَهُۥ﴾ وبيانُ مَرجعِ الضَّميرِ:

شهوةُ الإنسانِ مُمتدَّةٌ للمستقبَلِ البعيدِ

جاءَ لفظُ ﴿أَمَامَهُۥ﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ منصوبًا على الظّرفِ، وأصلُه مكانٌ، فاسْتُعير هنا للزّمان[3]. وفي معنى ﴿أَمَامَهُۥ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدُها:** أنَّه عبارةٌ عمّا يُستقبلُ منَ الزَّمانِ؛ أيْ: ليَفجُر بقيَّةَ عمرِه، **الثاني:** أنَّهُ عبارةٌ عن اتِّباعِ أغراضِه وشهواتِه، يُقالُ: مَشى فلانٌ قُدّامَه، إذا لم يرجعْ عن شيءٍ يُريدُه، والضَّميرُ على هذيْن القولَيْنِ يعودُ على الإنسانِ، **الثّالث:** أنَّ الضميرَ يعودُ على يومِ القيامةِ. والمعنى: أنَّه يريد شهواتِه ليَفْجُرَ في تكذيبِه بالبعث بين يَدَيْ يومِ القيامة[4]. وعلى هذا يكونُ التَّعبيرُ بـ﴿أَمَامَهُۥ﴾ مجازٌ عن التَّكذيبِ بيومِ القيامةِ[5].

نَكتةُ فصلِ قولِه: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾:

السؤالُ عن موعدِ القيامةِ تعليلٌ لإرادَةِ الفجورِ

فصلَ القرآن المجيد قولَ اللّه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ عنْ قولِ اللّه سبحانه: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾، ولم يعطف الآيةَ عليها؛ لأنَّها جاءتْ استئنافًا بيانيًّا، فهي تعليلٌ لإرادةِ الدَّوامِ على الفجورِ؛ إذ هو في معنى: لِمَ يريدُ أن يدوامَ على الفجورِ؟ قيل:

(1) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (فجر).
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 90.
(3) السَّمين، الدُّرُّ المَصون: 10/ 566.
(4) ابن جُزَي، التّسهيل: 2/ 433.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 343.

لأنَّهَ أنكرَ البَعثَ واستهزأ بهِ، وفيه أنَّ مَن أنكرَ البعثَ لا محالةَ يرتكبُ أشدَّ الفجورِ، وهو طرفٌ من قوله سبحانه: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧﴾ [المؤمنون: 36 - 37]. ويجوز أن تكونَ مُستأنفةً للتّعجيبِ من حال سؤالهم عن وقت يوم القيامة، وهو سؤالُ استهزاءٍ لاعتقادهم استحالةَ وقوعه[1].

وتحتمل أن تكون الجملة في موضع نصبٍ على الحال؛ أيّ: يريد أن يستمر في فجوره في حال كونه سائلًا على سبيل الاستهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وقيل: مُفسَّرة مُستأنفة، أو بدلًا من الجملة قبلها؛ لأنَّ التّفسير يكون بالاستئناف وبالبَدَل[2].

دلالةُ التّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ:

آثَرَ البيانُ القرآنيُّ التّعبيرَ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَسْـَٔلُ﴾ لبيانِ تكرارِ سؤالِ الفاجرِ عن موعدِ القيامةِ، فهو لا يفتأُ يعيدُ السُّؤالَ مرَّةً تلو الأخرى مُستهزئًا ساخرًا، ولعل مردَّ ذلك إلى ما يعتريه من تشكُّكٍ أحيانًا واستفاقةٍ أحيانًا، فيُكرِّر السُّؤالَ بحثًا عن الجوابِ تارةً، وليسخرَ من الوعيد به تارةً أخرى، ولكنْ بسبب ميلِ طبعه إلى الاسترسالِ في الشَّهواتِ والاستكثارِ من اللَّذاتِ لا يكادُ يُقِرُّ بالحشرِ والنَّشرِ وبَعثِ الأمواتِ؛ وذلك لِئَلّا تَتَنَغَّصَ عليه اللَّذاتِ الجُسمانيَّة، فيكون أبدًا مُنكرًا لذلك، قائلًا على سبيلِ الهُزْءِ والسُّخريةِ ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[3].

تكرارُ السُّؤالِ عن موعدِ القيامةِ يكشفُ عن اضطرابِ نفسِ الكافرِ

دلالةُ التّعبيرِ بالاسميّةِ:

جاء قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ في محلِّ نصب مفعولٍ به للفعلِ ﴿يَسْـَٔلُ﴾، وعبَّرَ بالجملة الاسميّة لبيانِ دوامِ العنادِ والاستهزاءِ[4].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 153، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 343.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 297.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 723.
(4) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 21/ 91.

بَلاغةُ الاستفهامِ ونوعُه وغَرضُه بأداة ﴿أَيَّانَ﴾:

السُّؤال عن موعدِ البعثِ استبعادٌ لوقوعِهِ وتهكُّمٌ بالقائلين به

﴿أَيَّانَ﴾ ظرفُ زمانٍ بمعنَى (متى)، وهو مأخوذٌ من (أين) الظَّرفيَّة المكانيّة، ثم انتقلت إلى الظَّرفيَّةِ الزَّمانيَّةِ من: آنَ يئِينُ بمعنى حانَ. و(أيّان): يُسْأل بها عن زمانٍ[1]، وفيها معنى الاستفهام، فأشبهت حرف الاستفهام، فبنيت؛ إذ الحروف أصلها البناء[2]. وتُستعملُ عادةً للدّلالةِ على شدَّةِ الاستبعادِ[3]. فالمعنى أنَّهم يسألونَ تعيينَ وقتٍ معروفٍ مضبوطٍ بعدَ السِّنينَ ونحوِها، أو بما يَتَعَيَّنُ به عند السّائلينَ من حَدَثٍ يحلُّ معه هذا اليومُ، فهو طلبُ تعيينِ أمدٍ لحلولِ يومٍ يقومُ فيه النّاسُ[4].

نَوعُ الإضافةِ ودلالتها:

يومُ القيامةِ ظرفٌ لما يجري فيه من العدلِ والفَصلِ بين الخلائقِ

أضافَ النّظمُ الحكيمُ لفظَ ﴿يَوْمُ﴾ إلى ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، والإضافةُ معنويَّةٌ أكسبتِ اليومَ نوعًا من التَّخصيصِ، إذِ الأصلُ: (يسألُ: أيّانَ اليومُ الذي تقومُ فيه القيامةُ)، فعدلَ عن ذلك إلى تعبيرِ: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، فدلَّت الإضافةُ على الظَّرفيَّةِ الزَّمانيَّةِ، وذلك بوصفِهِ ظَرْفًا لما يجري فيه من محاسبةِ العبادِ، وتعذيبِ المُنكرينَ المُعاندينَ وإثابةِ الطّائعينَ المؤمنينَ، وغرضُ الكافرِ استبعادَ ذلك اليومِ والتَّهكُّمِ بحقيقتِهِ.

سِرُّ تعريفِ لفظِ ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾:

يومُ القيامةِ من الأمورِ التي تُقرُّها الفطرةُ ويخضعُ لها العقلُ

اللّامُ في كلمةِ ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ من قولِ اللّه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ إمّا أنْ تكونَ للعهدِ الذِّكْري، لسبقِ ورودِها في قولِ اللّه تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وإمّا أنْ تكونَ للعهدِ الذِّهنيِّ؛ لأنَّ هذا الكلام حكايةٌ لقولِ الكافرِ المُكذِّبِ يومَ القيامةِ، فأجرى الكافرُ

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أين).
(2) الخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل: 29/ 261 - 262.
(3) السّامرّائيّ، لمساتٌ بيانيَّة، ص: 208.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 343.

المكذِّبُ الكلامَ على ما يسمعه من المُنذِرين له، استهزاءً باليومِ وإنكارًا لهُ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ يومَ القيامةِ من الأمورِ البدهيَّةِ؛ فهو يجري على ألسنة المُنكِرينَ رغم أنوفِهم.

نُكتةُ إعادةِ ذِكْرِ: ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾:

في التكرارِ تمهيدٌ لذِكْرِ أماراتِ القيامةِ وأشراطِها، ورعايةٌ للفاصلةِ المؤثِّرَةِ

كرَّرَ النَّظمُ الحكيمُ لفظَ ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ في قولِ الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ حكايةً لقولِ الكافرِ، وعَدَلَ عن: (يسألُ: أيّانَ هذا اليومِ أو يومئذٍ)، وذلك لبيانِ خطرِ هذا اليومِ وعِظَمِ مكانته، وللرَّبطِ بينَ هذه الآيةِ وما سيأتي من ذِكْرِ أماراتِ القيامةِ بعد ذلك، فكان تكرارُه تمهيدًا لبيانِ أماراتِ القيامةِ وأشراطها. وفي ذِكْرِه كذلك رعايةٌ لفاصلةِ الهاءِ التي تكرَّرت خمسَ مرّاتٍ في ﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، و﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾، و﴿عِظَامَهُۥ﴾، و﴿بَنَانَهُۥ﴾، و﴿أَمَامَهُۥ﴾، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، فأكسبتِ النَّظمَ جرسًا بالغًا مؤثِّرًا يأخُذُ بالألبابِ، ويعينُ على تأمُّلِ أحداثِ هذا اليومِ الرَّهيبِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفُجورُ والطُّغيانُ والبَغيُ والعِصيانُ:

الفجورُ مُشتملٌ على معاني الباطلِ مُستجمِعٌ لِشِدَّتِهِ في مواجهةِ الحقِّ

تدور مُفردَةُ الفُجورِ حولَ معاني التَّكذيبِ والانبعاثِ والتَّفَتُّحِ في المعاصي والمَيْلِ عن الحقِّ[1]، وشِدَّةِ الرَّغبةِ في اقترافِ الموبقاتِ[2]. وأمّا الطُّغيانُ فهو أشدُّ الألفاظِ المُعبِّرةِ عن الظُّلم؛ لاشتمالِه على مُجاوزةِ الحدِّ والمبالغةِ في الكِبْرِ والمَعصيةِ والشَّرِّ والكُفْرِ، ويليه في الشِّدَّةِ البَغْيُ؛ لاشتمالِه على التَّعدِّي والفَسادِ والظُّلم، وأمّا العصيانُ فهو تركُ الانقيادِ، وهو خلافُ الطّاعةِ. وألفاظُ البغي والطُّغيان والفجور متقاربةٌ دلاليًّا؛ فهي تشترك جميعها في معنًى عامٍّ هو مجاوزةُ الحدِّ[3]. وقد آثَرَ القرآن المجيد التَّعبيرَ بمُفردَةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فجر).
(2) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (فجر).
(3) داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 148.

الفُجورِ؛ لاشتمالِها على معنى اقترافِ الموبقاتِ، ولأنَّها كذلك ألصقُ بمعنى التَّكذيب بيوم القيامةِ، ولاشتمالها على بقيَّة المعاني من الطُّغيان والعصيان والبغي والتَّكذيب واتّباع الشَّهوات والشُّبهات، فكان لفظُ الفجورِ شاملًا لمعاني الباطل، مع ما فيه من شِدّة الباطل وقبيح المعصية.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"